حوار..

بقلم : احمد طلعت

ملكيـــــون ..ولـكن..!!

منذ سنوات طويلة ونحن نسمع في العالم العربي شعارا يقول إن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي «والوحيد» للشعب الفلسطيني، وقد تكرر هذا الشعار مئات المرات علي السنة الحكام العرب، وفي البيانات الصادرة عن جميع المؤتمرات العربية علي مستوي القمة او مستوي الوزراء، وكان هذا الشعار معناه انه ليس من حق احد - حتي ولو كان طرفا عربيا - ان «يفرض» علي الشعب الفلسطيني شيئا لاتقبل به منظمة التحرير، وليس من حق احد ان «يقترح» حلا توافق عليه منظمة التحرير.

وكان من اسباب هجوم «بعض» الاطراف العربية علي مصر في اعقاب توقيع اتفاقيات كامب ديفيد ان مصر لم تاخذ رأي المنظمة في «مشروع» الحكم الذاتي للفلسطينيين، مع انه كان مجرد مشروع يمكن أن تقبل به او تتفاوض من اجل تعديله ولكن «الخطيئة» الكبري لمصر في نظر «البعض» لم تكن فيما يحتويه المشروع، وانما «مجرد» انه تم بحثه مع الجانب الاسرائيلي في غياب المنظمة التي هي الممثل الشرعي «والوحيد» للشعب الفلسطيني، وبالتالي فلم يكن من حق مصر - او غير مصر - أن تقترح شيئا علي الفلسطينيين حتي وان كان فيه صالحهم.

وفي ١٣ سبتمبر م هذا العام وقعت منظمة التحرير الفلسطينية - التي هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني - اتفاقية الاعتراف المتبادل مع إسرائيل ومشروع غزة - اريحا كبداية علي طريق السلام، ولكن بعض التيارات العربية في مصر وفي غير مصر نسبت «فجاة» ان المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وراحت هذه التيارات تعارض الاتفاقيات التي وقعتها المنظمة وتصفها بشتي الأوصاف التي من بينها - بطبيعة الحال - الخيانة، والعمالة، والحلول التصفوية، الي آخر هذا القاموس من الالفاظ التي تجيد هذه التيارات استعمالها بمناسبة وبغير مناسبة.

وهكذا اراد «البعض» أن يكون ملكيا اكثر من الملك - وفقا للتعبير المعروف - حتي علي ماقبلت به المنظمة به المنظمة، حتي إذا كانت المنظمة هي الممثل الشرعي «والوحيد» للشعب الفلسطيني..!! والأعجب من ذلك ان أولئك الذين هاجموا مصر ايام كامب ديفيد من اجل خاطر «المنظمة» هم انفسهم الذين يهاجمون المنظمة الآن لأنها قبلت بما رات في صالح الشعب الذي تمثله..!! وهذا التناقض في المواقف يدعونا إلي التساؤل عن الدوافع الحقيقية لهؤلاء يريدون أن «يحتكروا» الوطنية لانفسهم، وان يتهموا غيرهم دائما بالخيانة والعمالة، فالمتفق عليه في العالم العربي منذ سنوات طويلة ان ماتقبل به المنظمة سوف يقبل به العرب مادامت المنظمة هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، لكن «الرافضين» عددهم دائما أجابة «جاهزة» لكل تساؤل، فهم يبررون معارضتهم بان منظمة التحرير لم توافق «بالاجماع» علي الاتفاقيات، وان هناك بعض الفصائل الفلسطينية مازالت تتحفظ عليها..!!

والمطالبون بالاجماع الفلسطيني هم في الحقيقة يطالبون بالمستحيل، وهم يعلمون - قبل غيرهم - انه ليس هناك موضوع واحد من موضوعات السياسة يمكن أن يظفر بالاجماع، ولكنهم مع ذلك يجدون لأنفسهم دورا يلعبونه، حتي ولو كان هذا الدور هو «اجهاض» جهود السلام وحرمان الشعب الفلسطيني من ارض يقف عليها، وصوت يتساوي مع أصوات الآخرين.

بل ان المطالبة بالاجماع - هي في حقيقتها - دعوة الي الديكتاتورية وفرض الراي تمارسها الاقلية علي الاغلبية، لان الديمقراطية في كل بلاد العالم المتحضر تقوم علي قرار الأغلبية الذي يجب أن تلتزم به الاقلية، انها حقيقة تعرفها كل بلاد العالم المتحضر، ولاينازع فيها إلا اولئك الذين يريدون ان يكونوا ملكيين اكثر من الملك، ونصيحتنا لهؤلاء ان يعيدوا النظر في نتيجة التصويت علي اتفاقيات السلام داخل الكنيست الإسرائيلي، ليعرفوا أن القرارات تتخذ في الدول الديمقراطية بالاغلبية.. وليس بالاجماع.

لكن المشكلة - في العالم العربي - انا نتحدث كثيرا عن الديمقراطية، لكننا نمارسها بطريقة «البيضاء» الذي ينطق بما لايفهم، بعد ان ظلت انظمة الحكم تشوه معني الديمقراطية وتفسرها علي هواها، لتمارس في ظل شعارات الديمقراطية ابشع صور الطغيان والدكتاتورية.

لقد عاني الشعب الفلسطيني طويلا من نفسه - ومن الاعداء والاصدقاء علي السواء - وقد جاء الوقت لكي يسترد بعض حقوقه، وان يفرق بين العدو والصديق.